اللامرئي في الإنسان...!

أين يقطن كل خفي في الانسان؟.. سؤال بدا يراود ذهني منذ أن باشرت دراستي العملية في حقل علم الحياة. فانا منذ زمن كنت احتك، يومياً تقريباً، مع جسد الانسان، بمكوناته والمواد الحيوية فيه، من خلال المواد العضوية والطبيعية. ودراسة ذراته واعضائه، واشكال خلاياه والوانها ووظائفها... الى ما هنالك من أمور وشؤون تتعلق مباشرة في هذا الكيان العظيم.

الانسان يحوي كل شيء، يحوي كل ما تحويه الطبيعة من معادن وعناصر وطبائع... كل ما يحويه الكون من مكونات وخفايا، الخ.. يحوي مصغّرات عن الكواكب والشموس، عن الفصول والازمان، عن العناصر والأبعاد، وعن كل ما يتواجد في الكون من منظور ولامنظور!

كنت كلما تأملت وغصت في دراسة هذا الكيان العجيب، ازداد عمقاً في الإيمان من جهة، وازداد حباً لمعرفة المزيد واكتشاف الخفي من جهة أخرى. كنت ادرس عظمة الخالق في الانسان، بل ادرس الخالق من خلال محتوى الانسان!

الانسان يحوي كل شيء، ولطالما راودت ذهني العبارة المقدسة وداعبت تأملاتي من وقت لآخر: «خلق الانسان على صورته ومثاله»! كل المكونات المادية متواجدة في الجسد. لكن من ناحية أخرى، هناك اللامنظور... اين يقبع اللامنظور؟

فثمة جزء غير مرئي وغير محسوس مادياً، يكون قسماً مهماً في الانسان. هذا القسم يحوي العواطف والمشاعر والافكار والمعرفة والوعي، الادراك، التحليل، النظام، الذات، النفس، العقل، الروح... وتعابير اخرى عديدة تحمل في معناها مكونات لامرئية يحويها كل انسان. لكن اين تتواجد؟ اين مقرها في هذا الكيان العظيم؟

... سؤال ما برح يراود تفكيري منذ أن بدأت دراسة عالم الحياة والانسان. لكني لم أجد الاجابة عنه إلاّ مؤخراً. فقررت أن أنقل معرفتي هذه الى من يبنهم الامر، علني اجيب عن تساؤل يصدح في ذهن البعض، ولم يجرؤ على البوح به، أو لم يجد الاجابة عنه بعد!

ان المكونات المادية في الجسد، تظهر في الجسد، كالكريات البيضاء والحمراء، كالعضل والخلايا والعظام... وحتى مكونات الخلية الدقيقة والمجبرية، والشرايين الشعرية. لكن اين تكمن المشاعر مثلاً؟

هل يوجد جسم، ما، او خلية خاصة بالمشاعر تحوي مجموعة عواطف الانسان واحاسيسه؟ وخلية أخرى تحوي الافكار؟...

الجسد المادي ليس سوى جزء صغير بسيط من الكيان البشري. فما حول الجسد المادي، وما يتخلله من ذبذبات، او ذرات كهرطيسية حيوية، أو أجهزة ذبذبية خفية، يعتبر هو الانسان الكامل، بل هو الجزء الأهم من الكيان.

قد لا يعلم البعض وجود هذا الواقع الذبذبي. وقد يعتقده التقليديون ضرباً من وهم وخيال!... لكن ألم تكن الهالة الكهرطيسية المتواجدة حول الجسد ضرباً من وهم وخيال حتى اخترع المصور الروسي كيريليان في أواسط هذا القرن آلة تصوير بالغة الدقة استطاعت التقاط ذبذبات هذه الهالة وإظهارها في صور فوتوغرافية؟! فلِمَ لا تكون ثمة اجسام ذبذبية أخرى، اشبه بطاقات متعددة لا منظورة تتخلل الجسد وتحيط به؟... والانسان لم يتوصل بعد الى اختراع الآلة التي ستظهرها!...

بالطبع ما من احد يستطيع الجزم بعدم وجود هذه «الاجسام الخفية» في الانسان... كما أن ما من أحد يستطيع تأكيد وجودها علمياً حتى الآن! لكن، لو نحن درسنا الوضع قليلاً، وفكرنا فيه منطقياً، لوجدنا أن تلك الفكرة ليست بعيدة عن الواقع، وقد تكون التفسير الوحيد والاكثر منطقية دون غيره. فالهالة الاثيرية المكتشفة حديثاً، تبين انها تتضمن بعض الذبذبات المشعة الملونة... والتي تظهر التاثيرات الداخلية للانسان. اذ ان العوامل النفسية والفكرية والصحية تؤثر في هذه الهالة، وبالتالي تغير من مظهرها ودرجة تذبذب الوانها، وربما من قوة اشعاعها الخ... فلِمَ لا يكون ثمة جسم او جهاز ذبذبي آخر للعواطف والمشاعر والاحاسيس... وثمة جسم آخر للافكار والاعتقادات والمفاهيم... وآخر للمعارف والوعي والذاكرة... وآخر للمحبة والحكمة... وآخر للروح؟... وكل هذه الاجسام خفية، على غرار الهالة الاثيرية المحيطة بالجسد المادي.

بعد ان توصلت الى هذا الافتراض، والذي لم أجده بعيداً عن المنطق، بل قريباً الى التصديق، اذ بي أطّلع على بعض فلسفات الشرق الاقصى، والتعاليم الخاصة بعلوم تلك الفلسفات، فاجد أن كل ما افترضه كان اساساً لعلومهم وركناً اساسياً من اركان اعتقاداتهم في تكوين الانسان.

من جهة أخرى، ان فكرة تواجد هذه الاجسام التي يحتوي كل منها على خاصيات معينة، افضل بكثير من فكرة أن المشاعر مثلاً تسري في الدماء... او ان الافكار تقطن الخلايا الدماغية... وان الوعي يسكن بين العروق والشرايين والعظام!

وحتى ايجاد تفسير آخر افضل، سابقي هذه الفكرة في ذهني ادرسها واحللها وابحث في ماهيتها بهدف التوسع في حقيقتها.

ميشال هيدموس

● المحرر: لسنا في وارد التعليق على ما ورد من آراء في هذه الرسالة، لأنها تتناول مسائل لا تزال مدار نقاش وأخذ وردّ بين أهل الاختصاص والمهتمين وهي بالتالي ذات طابع فلسفي وأكاديمي، وفضّلنا نشرها، لأنها قد تكون مادة لحوار من نوع جديد.

الحسناء ١٤/١٠/١٩٩٤